في زاويـة غرفتـي

اســم الكتــاب: فـــــي زاويـــــــة غرفتـــــــي

التـأليـــــــف: جــــواهر عبــــــد الحميــــــد

إخــــراج فنـــي: ســالم عبـد المعـز (عمـرو سـواح)

رقـــم الإيـــداع: 2021/ 5429

التــرقيم الــدولي: 978-977-835-241-2

الناشـــــــــر: زحمــة كتــاب للنشــر والتوزيــع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر Facebook



Email za7ma-kotab@hotmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595



في زاوية غرفتي

الكاتبة

جواهر عبد الحميد

الإهـــداء

إلى من عجزت دواخلُهم في تحقيق ما يتمنونه،

وإلى من حققوه رغم العناء.

ج.

جواهر يا جوهرة أبيها..

ما ظننت يومًا ما أن كتابكِ يطبع قبل كتاب أبيكِ

لكنه -يا بُنَيَّتِي- فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

عبد الحميد المزيد

مُقَدِّمَة

ارتفع ستارُ حلمي بعدما كان باهتاً وممزقاً قد نسجت عليه العنكبوت خيوطها، وارتفع ذلك الستار بعد عناء.

حلمي ها قد وصلت إليك وحققتُك، أعترف إليك أن الطريق كان طويلاً وشاقاً بيننا، رأيتكَ من بعيد تقف على رصيف ذلك الشارع بابتسامة وكلي ثقة بأنني سأصل إليك يوماً ما، وفعلاً وصلت.

الكتابة فنٌ لمن لا يستطيع الرسم، وحديثٌ لمن لا يستطيع التكلم، الكتابة عالم لمن لم يعجبه عالمه، ولكن بالنسبة إلي فالكتابة قاموس يجمع ما ذكرت كله.

عزيزي القارئ:

يهمني بعد قراءتك لهذا الكتاب بأن تسعى لتجد ذلك الحلم، لأنه وبلا شك ينتظرك ويطلب منك الوصول إليه، فلا تحطمه.

فالحلم يتحول إلى واقعٍ إذا تخطيت ما يُسمى

((لن أفعل))

ويبقى حلماً إذا لم تتخطَ ما يسمى

(لن أصل)

الآن أترك لك قراءةَ هذه الكلمات التي نطقها قلبي قبل أن يَنطق بها لساني، والتي كانت حلماً عابراً لتتحول إلى واقع أعيشه.

من القلب..

وسط زحمة البشر، والاكتساء بقهوة مرَّة، وسماع حديث بائع الورد.

في فصل الشتاء تحديدا قد كُتبت تلك الكلمات من القلب إلى تلك الأسطر لتكمل رحلتها وتستقر بقلوبكم.

فابدأ مسيرتك بالقراءة..

أمي اليمن

سلاماً عليكِ يا أمي..

سلاماً على أراضيكِ التي عانت لتثمر لنا أطيب الثِّمار، وسلاماً على أنهاركِ التي لا تزال تُسقينا كلما أَلَمَّ بنا العطش يوماً!

حقولكِ المحلاة بثوبها الأخضر الناصع تجذب أعين الناظرين، وآثاركِ النادرة التي باتت مكاناً للسوّاح.

تعبتِ وعانيتِ لأجل أطفالكِ يا أمي، وابتسامتكِ تملؤ شفتيكِ لإنجازكِ العظيم.

تراقبينهم بهدوء وكلٌّ يحمل في قلبه فخراً لمنحه أمّاً عظيمة مثلكِ.

– لن تستمر الأوضاع لمدةٍ من الزمن.

هكذا نطقتِ بهذه الكلمات بعدما رأيتِ أحد أطفالكِ يهجم على الآخر.

رأيتكِ من بعيد وأنتِ وسط المعركة، وعيناكِ تدمعان، عاجزة عن فعل ما يُنهي هذه المهزلة. أخيراً انتهى ذلك العراك، ولكن جروحكِ

بادرت بالنزيف، وثوبكِ المقدس قد تمزق ولكن شفتيك لا تزالان تبتسمان وترددان:

– لا بأس سيذهب هذا الألم كله!

لقد كنت أراكِ وقلبي وعيناي تدمعان دماءً لما رأتاه، مرت الأيام ولا تزال قلوب إخوتي تشتعل حقداً وكرهاً، في حين أنكِ تمنحينهم كل ما يحتاجون إليه منكِ.

همستُ لكِ ذات يوم بهدوء:

– كوني قاسية معهم، فقد استغلّوا منكِ ذلك الحنان يا أمي.

لم أنتهِ من حديثي إلا وجاءت كلماتكِ كالسهم تمزق أحشائي من الداخل:

–وهل رأيتِ يوماً أمًّا تقسو على أطفالها؟

لم أتفوَّهْ بحرفٍ ووقفت أراقب ذلك العراك بهدوء لا أستطيع فعل شيء.

تدور أحداثنا على أمٍّ قتلها الهلاك وهي تحدق بأطفالها من بعيدٍ بقلبٍ يحزن وعين تدمع.

حكاية ما بين الماضي والحاضر، ما بين مغترب يتألم ومحارب تتمزق أشلاؤه، بين أطفال تُيَتَّم ونسوة تترمل، فهل علينا أن نتابع بصمت حتى نرى النهاية؟

فمن يدري فليس كل بطولةٍ يجب أن تعيش، وليس كل نهاية حياة سعيدة.

مسلسلنا هذا لا يوجد له مخرج يضع نهاية مناسبة لتلك القصة المؤلمة.

كاتبة مغتربة ترجو أن ترى أمَّها تعود لشبابها يوماً وتلوح لها من بعيد وهي تردد:

- ألم أخبركِ يوماً أنه سيذهب هذا الألم؟

النهاية الآن بأيدينا يا إخوتي، ولكم حرية الاختيار.

*****

يتيم.. وسط المعركة

رأيته ذات يوم يتجول بأحد الشوارع وله جسم هزيل وعينان مدمنتا حزن، اقتربت منه بهدوء وعيناي تراقبان وجهَه الذي احتل الحزن على وجنتيه وصنع بهم الألم والجروح.

رآني بعدما ذهب عقلي لبرهة، فأصبح تفكيري يمشي باتجاهٍ معاكسٍ وعيناي مكانهما تأبيان الحراك، دخلتُ إلى عالمٍ لا خروج منه، ودار بي التفكير إلى مكان مجهول. أوقفتْ أفكاري عينا ذلك الفتى وهو يحدق بي بوجهٍ حزينٍ وابتسامة يتيمة، لم أستطع أن أمسك قلبي وأهدئه بأن لا يستقبل الحزن يوماً، ولم أستطع أن أمنع دموعي من الخروج لكي لا تُيَتَّم.

في تلك اللحظة عجز لساني عن الكلام وأصبح أُميًا لبرهة، حاولت مراراً وتكراراً بأن أتفوه بحرفٍ فابتسمت قائلة:

- هل تبحث عن شيءٍ يا صغيري؟

رآني ذلك الوجه المتهشم، وكأنما يسكن بداخل عينيه محيطٌ عميقٌ، بأعماق ذلك المحيط شعب بأكمله يفكر كيف ينجيهم من

الغرق!

أجابني بروح ممزقة:

- أبحث عن طعام!

كانت دموعي عالقة وسْط رمشي تشاهد ما يحدث، فسقطت لِتُيَتَّم هي الأخرى، أمسكت يديه برفقٍ وذهبت به إلى مطعم عسى أن يسد جوعه.

يااااااه! يا لبرودة أطراف أصابعه! كيف يستطيع أن يتحمل هذا العناء بمفرده؟! وكيف يستطيع أن يتضور جوعاً وعطشاً وكرامته تمنعه عن الكلام؟ كيف يستطيع أيضاً أن يبتسم وتلك الوجوه تحدق به بلا مبالاة؟

قاطعني صوت النادل وهو يشير إليَّ بيده كي أنتبه، حاولت أن أنبهه أنني على ما يرام، فنظرت إلى ذلك الطفل وهو يفرك يديه لعلهما تدفآن.

أعترف أنني لست من الأشخاص الذين يتمتعون في الحديث مع أناسٍ غرباء، غالباً ما أحب الصمت لأنه هي اللغة الوحيدة التي لن أندم عليها.

للمرة الثانية قطع تفكيري ذلك النادل وبيدي قائمة الطعام:

- لو سمحت طبقاً من فطيرة التفاح وكوباً من النسكافيه الساخن.

بدأ هذا الحوار بيني وبين الفتى:

- أين أهلك يا صغيري؟

أجابني بابتسامة:

- لا يوجد لدي أهل!

بادلته تلك الابتسامة:

- لا يوجد! وكيف وُجِدتَ أنت؟

لَم يجِبني فقد كان ممسكاً يديه، وعيناه تتكلمان بلا توقف.

نظرت إليه بتمعن:

- أجبني.

نظر إليَّ هذه المرة كأننا وسْط حرب:

- كما لا توجد في قلوبكم الرحمة!

أجبته:

- وما هو دليلك؟!

– أغرتكم الدنيا وما فيها رغم علمكم أنها فانية، تسابقتم إلى دفع ما لا يرضي الله، وتكاسلتم عن وصية رسولنا الأمين، مللنا من نظرات الشفقة والرحمة وأنتم تبتعدون بكل هدوء.

ابتَسم قليلاً فأكمل حديثه:

– لم ترحمني أمي، ولم يحن إليَّ أبي، ذهبا دون عودة وتركاني أعاني وحيداً على أرض متصحرة تماماً، جعلا الوحدة صديقي، والشارع مسكني ومأواي، وطعامي فتات الخبز اليابس أقسمه لأيامٍ معدودة، أما شرابي فهو ذلك الماء الذي يَصب من أعلى عن طريق المكيف. جعلتمونا على هامش الحياة، نزعتم منا أحلامنا وطفولتنا بكل برودة، فأصبحنا بجسد طفل وعقل مُسنٍّ متروكٍ بإحدى دور الرعاية.

لم أجبه، وكانت عيناي هي البديل في إيجاد الجواب.

ولا تزال تلك الحرب مستمرة.

*****

إليكم

سأبقى أكتب عنكِ دون مللٍ ولا كلل، ستبقين ذلك الحب الذي لن ينتهي، ستبقين شريطاً يدور حول عينيَّ لن يتوقف.

ذكرياتكِ لا تزال مخلَّدة بذلك القلب الممزق، وأيامكِ لا تزال تزورني كلما حلَّ الظلام، ستبقين جميلة ولو تلطَّخت وجنتاكِ برماد الحروب والدمار.

ألا يحق لي أن أكتب عنها دون كلل وهي مستقري ومأواي؟

ألا يحق لي أن أقف إلى جانبها وهي من وقف إلى جانبي طيلة حياتي الماضية؟

ألا يحق لي أن أخاطبها كَبشر يسمع وينصت وهي من قطف ثماراً من الصبر؟

بلادي اليمن...

هل يعقل أن يزوركِ ذلك الدمار يوماً وترحبين به بسرور ويقينٍ بأنه سيذهب ولو كان ضيفاً ثقيلاً؟

هل يعقل أن ابتسامة شفتيك تظهر وتلك السكاكين محاطة بصدرك لتستقر في جوفك؟

بلادي اليمن...

كيف لا تصبرين وأنتِ من أعددتِ لنا يوماً درساً مفصلاً عن صبرك الأبي؟

كلما خاطبتك يوماً يا بلادي رأيت تلك الابتسامة تخاطبني بقولها: لا تحزن، فالنصر قريب!

- لن أحزن.

أجبتكِ يوماً بهذه الجملة وكلي ثقة بدمار الدمار، وزوال الماضي، وموت العدو، ولكن حزني قد اشتدَّ بداخلي لينصب خيامه.

كيف لا أحزن، وأنا أسمع صرخاتك المتقطعة نهاراً وأنينك الموجع ليلاً؟!

كيف لا أحزن، وأنا أرى جروح يديك وحروق جبينك وتكسُّر مفاصلكِ؟!

يا بلادي، أتطلبين مني أن لا أحزن وأنا أتابع مسلسلك الأليم بلا مخرج؟!

أتطلبين مني الابتسامة وكوابيسك المرعبة تلاحقني كلما استلمني النوم؟!

أمي اليمن..

أتطلبين مني الابتسامة وقد هاجرت تلك الابتسامة للسلام، للفرح، للحديقة الغناء؟!

لن أعاتبكِ بطيبتك الزائدة يا بلادي بعد اليوم، لأن إجابتك ستكمن في تلك الابتسامة، بل سأخاطب مَن تحجَّرت قلوبهم وتبلَّدت نفوسهم.

إليكم يا بشر!

ماذا لو تغيَّر الحال وأتى لزيارتنا نبي الأمة محمد عليه السلام؟ يا ترى، هل سنبتسم له ونستمر في استئناف حلقات هذا المسلسل العنيف؟ ما هي أول جملة سينطقها إذا رأى تلك الحوادث تقتحم كرامتنا ونفوسنا؟ ماذا عساه سينطق؟!

يا محمد، خير أمة أقبلت تجاهد وتحارب وتقتل بعضها بعضًا!

يا محمد، دمشق تنزف، يَمَنُك يُعاني، وعراقك يُشيَّع!

يا محمد، أين ذهب ذلك الخطاب الذي ألقيته يومًا بأننا خير أمة؟!

أمتك تموت جوعًا وتُقتل ظلمًا، أمتك تُهان كرامتها فتبتسم بلا اكتراث، تُقتحم منازلها فلا تبالي!

يا محمد، أنحن خير أمة وقد ضعفت قوتنا ولم تتشابك أيادينا.

ماذا عساي أن أكتب لكي تحيا أمة محمد من جديد؟!

وماذا عساي أن أنطق لتصحو أمة محمد من هذا السبات العميق؟!

أحقٌّ علينا نحن أن نتابع تلك الحروب بابتسامةٍ حزينةٍ وعين أسيرة؟

ونرى تلك الدِّماء تسيل، وذلك الطفل يصرخ حزينًا، وهذا الأب

يموت شهيدًا.

لسنا صغارًا ونحن نتابع هذا كله، ضُيِّعَت طفولتنا بحروبكم أيها الكبار!

أيعقل أن العراق العريق يُهدَم ويُجرَح بعدما قاده جيوشٌ من المسلمين؟!

بل أيعقل أن ذلك الشعب الطيِّب الأبيَّ الذي امتدحه النبي بما يقرب أربعين حديثًا، يصبح متصحرًا يائسًا؟!

سوريا جنة الدنيا، تلك التي لا تخلو من السلام، تصبح الآن مكانًا للجحيم!

لِتُغلق تلك الصفحة وتتوقف الألسنة للبوح عما بداخلها، لِتستمر تلك الأعين برؤية بقية ذلك المسلسل إلى حين يتم إعلان النهاية.

فاصل

هكذا خُلقت، وسأبقى إلى أن أُبْعَث، هكذا أردت أن أكون، ولا زلتُ كما أردت.

هكذا خُلِقَت شخصيتي ولن تتغير لإرضاء البعض، رافقت كثيرين ولم أحب إلا قليلين، عرفت معادن البعض ولَم أثق بالبعض الآخر، لم أتعلم دروساً فقط من هذه الدنيا، بل مُنِحتُ شهادات عُليا لاجتياز عواقبها الوخيمة.

لم أندم على مرافقة أشخاصٍ ذهبوا دون عوده، بل يسرني أن أشكرهم لإعطائهم لي إحدى الميداليات الذهبية، من يراني زائدة الثقة بنفسي فهذا صحيح لأن غير الواثق بنفسه لم تُخلَق شخصيته بعد، ومن يراني لا اهتم فهذا صحيح لأن لا شيء يدوم على تلك الدنيا وجميعها فان .

من يراني تلك الفتاة غير المبالية بمن حولها فهذا صحيح لأن من يستحقه فقط يحق لي أن أبالي به وقليل منهم من يستحق هذا.

قمر الكون

قلب لا زال ينبض فرحاً بقلبٍ آخر، وعين تدمع لرؤية عينها الأخرى حزينة، تعبت لأجلي تسعة أشهر وتحملت الآلام وهي مبتسمة تنتظرني بفرح ولم تأبه بألمها.

كَانَت ولا تزال تحن عليَّ إذا قسَوت، وترفع يديها الطاهرتين إلى السماء لتمنحني سعادتها إذا رأت عينيَّ تشتكيان.

هي التي تعرفني من قسمات وجهي، وتقرَؤُني حرفاً حرفاً، هي التي تنزع راحتها لتهديني إياها، هي التي تعطي من دون ملل، وتحب من دون شروط، وتساعد من دون مقابل.

فَــ:

يا من تشتكي الهم والضيقة

وقـلـبـك مـن الأحزان ما غير يـزداد

عليك بأمك كان روحك غريقة

وبرّها واجبٍ لو عمرها دوم ينعاد

قلبها لا يُقدّر بثمن، وإن يقدر فمقدارها أعلى مراتب الجنان،

تعبها تعده راحة لها في سبيل راحتي، هي الوحيدة التي أستطيع أن أنثر لها الحب دون أن أبالي، وهي الوحيدة التي تستحق أن أهديها قلبي بأكمله وليس جزءاً منه.

تعجز حروفي أن تصف خجلاً لمعروفها الذي لا يُقدَّر بكنوزٍ من الدنيا، ويعجز حبر قلمي أن يكتُب بحبر سائل لأن مستواها أعلى من أن يُكتَب بحبر من الذهب، وها هي أوراقي تفخر بالكتابةِ عنها في أحد سطورها.

أمي يشهد اللّهُ أن لساني خجولٌ منكِ لأنه مهما نطق عنكِ لن يوفيكِ حقكِ، ويشهد قلبي أن حروفي مزدحمة بالداخل تريد الخروج.

أنتِ الوحيدة الذي لن تكسر هذا القلب لأنكِ بداخله، وأنتِ الوحيدة التي تشعرني ابتسامتكِ أن الدنيا لازالت بخير.

لا أبالغ إذا مُلِئَت أوراقي جميعها عنكِ، ولا أبالغ

إذا وصفتكِ بأنك نادرة الوجود، بل ولا أبالغ أيضاً إذا قلت لكِ بأنك سيدة نساء العالم.

أمي حفظكِ اللّه ورعاكِ وأدامكِ لي عمراً ودهراً.

أمي تقرأين؟ أحبكِ يا أجمل أشيائي.

لربما.. ستزهر

ما بال ذلك القلب ينكمش وينطوي بزاوية لمفرده، وما بال تلك الأعين محاطة بفيضانات لا تَسمَح لها بالخروج، ما بال ذلك الحزن ناصب خيامه على الوجنتين.

فلربما.. ستزهر

لا داعي أن تخبر هؤلاء البشر بما أحزن قلبك، وأدمع عينيك، وسبب رحيل السعادة من داخلك.

لا داعي أن تخبرهم أنك مكتئب وضعيف ولا مفر لكَ من الحزن، ثم تختم أقوالك بمقولة: الشكوى لغير الله مذلة!

عليكَ إدراك أن هذه المقولة يجب أن تكون في المقدمة، فما فائدتها بعد كل ما تخبره عن حزنك ويأسك؟!

نحن البشر علينا أن نتعلم من هذه الحياة حتى تظهر تلك الابتسامة التي لا تُهزَم، فنحن نستحق كل ما يحصل لنا، لن أقول

بسبب صفاء قلوبنا لأن هذا سنؤجر عليه من رب السماوات، ولكن بسبب الفُرص

التي تُهدى لنا فنهديها لغيرنا ونترك تلك الروح تُهزَم ولا تُمنَح فرصاً كغيرها.

عليك أن تعلم أن ذلك القلب الحزين لا يحق له الانكسار، عليك أن تُعَوِّد تلك الأعين بأن لا تدمع قهراً ويأساً، وإنما فرحاً ونصراً.

عليك أن تُقوِّي تلك الروح لكي تُهاجر كل ما هو سيء بداخلها.

فلربما.. ستزهر أنت بعدها.

*****

النجم النادر

أسميته ((نجم سهيل))، وأسميته ((نادر الوجود))، وأسميته في كل موقفٍ اسماً فلم أنجح في اختيار اسم مناسب له، حتى بتُّ أحتار أن أجد له اسماً يناسب مقداره الكبير.

جلست حائرة على كرسي المدرسة وفي إحدى يديَّ قلمي الذي لا أفارقه.

كنت أكتب بصمتٍ عنك يا أبي، وأيقنت أن هذه الحروف التي تشكلت لتتكون إلى كلمات وجمل قليلة في حقك، مزقتُ تلك الورقة وبدأت أكتب عنكَ من جديد، أبي – كما قلت لك في السابق – كلماتي هذه ما هي إلا مجرَّد تعبيرات شكر وامتنان لمجهودك الكبير، فمن دونك تنقلب الحياة إلى جحيم، ومن دونك تتشرد أجسادنا وأفكارنا فتنطوي في زاوية من زوايا الألم والحنين.

من دونك أيها النجم النادر لا يصلح العيش على تلك الأرض، ترجع حاملاً السماء بأكملها ووجنتاك يملؤهما الفرح والسعادة عندما

أطلب منك نجمة صغيرة، أما الآن، أيقنت أنك أنت النجم الذي أستحقه والذي يغنيني عن السماء بأكملها.

الوحيد الذي تعطيني دروساً إضافية في كل موقف، فكل درس من دروسك لا زلت أنتفع به حتى الآن، وكل نصيحة أسديتها لي يوماً لا زلت متمسكةً بها جيداً. لا أبالغ إذا قلت إن نصائحك لا يضاهيها مَنجَم من الذهب، والألماس نصيحة من نصائحك، ولا أبالغ أيضاً إذا وصفتكَ بأنكَ إحدى عجائب الدنيا السبع.

فأنت إن سقطتُ رفعتني إلى القمَّة، وإن تعثرتُ وجُرِحتُ ضمدتني بضمادة من الأمل والاجتهاد.

فجعلك الله لِي سالماً وبقربي معافاً أيها النجم النادر.

*****

إليه..

تلك التي تبتسم لي الدنيا وتلوح لي بوجوده، وذلك الذي يهدي لي القدرُ أياماً جميلة لأنه بقربي، ليس صديقاً عزيزاً ولا حبيباً وفياً.

هو أخي الذي أحيا بستاناً بأكمله بعدما كان باهتاً ومحتضراً، بوجوده يصبح الكون بأكمله كأنه كرة تنس صغيرة لا تؤذيني، بوجوده يتحول الألم إلى أمل، والحزن إلى سعادة، وها هو الفشل ينسحب فيستقر النجاح مكانه، اليوم سأملؤ هذه الأسطر عنك لتمتلئ ببساتينَ من الأحرف الزاهية.

أخي بوجودك أيقنت أنك نعمة أهداني إياها اللهُ أخشى زوالها، وأنك أجمل هدايا القدر، بوجودك يا أخي تكون لي درعاً من وجوه الأعداء، وتكون لي حصناً من مخاوف المستقبل.

اليوم سأنطق باسمك من داخل الجوف، سأحارب أعماقي لكي أشعر بتلك الكلمة التي يُقال عنها بسيطة ألا وهي ((أخي)).

ها هي أحرفي مبعثرة بالداخل تحارب مشاعري لتخرج وتصفك بأجمل الأوصاف والمعاني، وها هي يدي تكتب عنك بلا توقف وبلا كلل، وقلبي يرفرف فرحاً مستبشراً بوجودكَ إلى جانبي.

يا اللّه لا تحرمني من أسطورة حياتي، يا أللّه لا تذِقني فيهِ مكروهاً ولا تُفرِّح الأعداء فيه، يا اللّه إنه قطعة من قلبي فأحفظه لي.

*****

حاول أن تنسى

نِعمٌ كثيرة في حياتنا ربما لم نُقدِّر وجودها، وربما لم نشعر بها يوماً، لهذا لا تُقدَّر النعمة إلا بعد زوالها.

نحن البشر لسنا معصومين من الخطأ، وهذه هي حياتنا، من خطأ إلى خطأ آخر، ومن ندم إلى توبة، هذه هي الحياة.

جميعنا من يحاول التمسك بالنسيان في كل موقف عَصيب يمر بنا، فالبعض ينجح والبعض الآخر يخفق فيستمر بملاحقة ذلك النسيان ولكن لا جدوى.

أخي القارئ..

حاول أن تنسى.. حاول فقط.

فليس من شجاعتك أن لا تنسى مَن وضعك في هامش الحياة لكي ترد له أضعافَ ما فعل بك.

وليس من ذكائك أن لا تنسى مواقفَ بسيطةً لتجعلها دليلاً وشاهداً بعد مرور الزمن، بل من قيمك وشهامتك أن تنسى كل ما يؤذي قلبك بمزيج من العفو والابتسامة الراضية.

فإنَّ النسيان نعمة عظيمة.. عظيمة جداً.

أعلم أن قلبك يتألم، وأن النسيان صَعبٌ عليك، لكن حاول أن تنسى.

فإن ذلك القلب يتمنى نسيانك لكيلا يُؤذَى منك .

فربما هناك أيامٌ جميلةٌ بانتظار قدومك لجعلك تنسى.

*****

My sis

على الرغم من أنها ترفع ضغطي، فهي التي تجعلني أستمر في هذه الحياة وعيناي مليئتان ببساتين من الفرح والأمل.

مصطلح معنى الأخت قد أحدث ضجةً بداخلي لا تهدأ، حاولت يومها أن أنزوي إلى زاويتي المعتادة، تلك الزاوية تجعلني أفضفض بما يحلو لي. فبعد أن تكون الكلمات بداخلي مبعثرة تترتب على أحد تلك الأسطر، لا عليكم كأي يومٍ عادي جلست كالمعتاد وبيدي قلمي الذي يجعلني أفضفض تلقائياً، هذه المرة كان قلبي متلهفاً لما سأحرر من مشاعرَ كانت أسيرة، وعيناي قد نفد الصبر منهما لما ستكتبه يدي، ولكن من دون سابق إنذار انسحبت تلك الكلمات فجأة، وأُغلِقت أبواب المشاعر، وها هي الحرب تتوقف، كان حبر قلمي ينتظرني على أحر من الجمر، أصبحت يدي أميُّةً لا تعرف الكتابة.

أختي التي أنجبتها لي أمي وأهداني الرب إياها، يعجز قلم حبري أن يكتب عنكِ، ويعجز فكري أن يجد مصطلحاً ليصفك بأجمل الأوصاف والمعاني .

اليوم سأشعل حرباً لن تنتهي على هذه الأوراق، اليوم سيُهزَم ذلك الصمت وسأفضفض عنكِ من دون أن آبه، اليوم سأحضن هذه الكلمات لكيلا ترحل.

لن أقول أنكِ صندوق لأسراري؛ لأنكِ أنتِ السر الوحيد الذي لم يستطع أحدهم اكتشافه، ولن أقول أن أُخُوَّتَك سعادة، لأن السعادة تشكلت على هيئتك.

أنتِ العون بعد أمي، وأنتِ نصيحتي بعد أبي، أنتِ صديقتي إذا تخلى الصديق، وأنتِ سعادتي إذا هاجرت تلك السعادة.

أختي، حفظكِ الله من سوءٍ يمسك، وأدامك لي سنوات عديدة لا تُعد ولا تُحصى؛ لأنه وبالأصح ستقسو الحياة معي من دونكِ، ويتحول واقعي إلى كابوس مستمر.

*****

فاصـ٢ـل

تُصيبنا أحياناً سهام حادة ويزورنا التجاهل في أوقاتٍ لا يناسب وقتنا، وربما نكره وجوده في قاموس حياتنا، ولكن إذا رأيناه من زاوية أخرى لوجدنا أنه يستحق وجوده بجانبنا.

لغة التجاهل لغة لطالما أزعجتنا في فَهم مضمونها، ولكن في النهاية هي من تستحق أن نرافقها.

في زمننا الحالي لم يعد وجود الحالي مُهماً لأنَّه سيرحل، ولَم يعد وجود الصمت مُلزماً لأنَّه منبوذ.

تتكون كومة من الكلمات الحادة بداخلنا فتتهشم وتتفتت ليحل التجاهل بدلاً عنها، يُمزق دواخلنا بهدوء، هدوؤه ذاك يُحدِث ضجة بالداخل، ويصبح المكان مليئاً بالفوضى.

يذهب سريعاً ويعود سريعاً؛ لِيُحدِث الضجة ذاتها والفوضى ذاتها.

فخر الأمة

تحقيق الحلم ليس بالسهل اليسير لتحصل عليه وأنت جالس على كرسي الكسل والتواكل، فكل حلم له حقوقه من العزيمة والإصرار.

تحقيق الحلم ليس شرطاً أن يكون ببناء المستقبل، وليس شرطاً أن يُجاهد الحالم لتحقيق حلمه بنفسه بل أن يكون أعظم حلم وله منزلة عالية على مدار الزمان هو الموت شهيداً مدافعاً عن الدين والوطن بالروح والدم.

فكم من شهداءٍ ذهبوا بأنفسهم إلى الموت بكل شجاعة وروح قوية لا تُحسِن الاستسلام ولا تخشى الموت، ذهبوا وكلهم ثقة تملؤ نفوسهم.

شهداءنا لقد حققتم أحلام الشعب جميعها، أثبتم لنا أن الدُّنيا لا تزال بخير، وأنه يوجد رِجالٌ عُظماء لا يزالون أحياء يدافعون عن الدين والوطن، أثبتم لنا أننا نستطيع تحقيق أحلامنا ببساطة.

شهداءنا، كُنتم ولا زلتُم رمزاً لغرس الأمل داخل قلوبنا بعدما فقده أغلبنا، أثبتم لنا حقاً أنكم شُهماء قبل أن تكونوا شهداء وأنكم رمزٌ أشعل الثقة بداخلنا بعدما ذَبُلَت، كُنتُم ولا زلتم أسطورة حقيقةً لن تنتهي.

شهداء الدين والوطن، ماذا عسانا أن نقول لنوفيكم حقكم؟! وكيف عسانا أن نكتب ما بداخلنا تجاهكم وقد امتلأت صفحات المجد والفخر عنكم؟!

شهداءنا، أنتم فخر للأمة العربية والإسلامية.

فسلامٌ عليكم، وسلامٌ على قبوركم التي نالت الشرف بكم.

*****

رحل.. ولن يعود

جملة بسيطة لطالما جعلت قلوبنا تشتعل، وجعلت من أعيننا فيضانات تنهمر، وعلى الرغم من بساطة وسهولة تلك الجملة، فإننا لا نريدها في قاموس الحياة.

موت الأعزاء أحدث ثقباً بداخل قلوبنا لا يلتئم ولا يشفى.

سأعترف لكَ يا جدي أن خبر وفاتك سبب لي صدمةً إلى الآن، لم ترحمك تلك الأجهزة التي كانت متمسكة بك، ولم يرثَ ذلك المشفى لحالك.

أذكر حينها عندما كنت في العاشرة من عمري فتحت غرفة المرضى وأنا كلي شوق ولهفة لأراك، اقتربت رويداً منك، علا صوتك النَّدي بلهفة وأنت تُحيِّي بي، فاستقبلتني بحب وحنان، كنت يا جدي رحيماً عطوفاً كأن بداخلك مدينة بأكملها لا تخلو من السلام.

سريرك بلونه الرمادي وسجادتك التي كنت تضعها أعلى السرير، ولا أنسى مشيتك المنحنية التي توحي بالتواضع، جميعها لا تزال في مخيلتي.

أغلقتُ عليَّ باب غرفتك بقوة، وبدأت دموعي تنهمر رويداً حتى باتت تغطي وجنتيَّ عندما علمنا أن روحك الطاهرة سبقتنا إلى الجنة.

جميعنا راحلون وجميعنا سنلتقي يوماً ما يا جدي..

رحمك الله وجمعنا بك جميعاً في جنات النعيم.

*****

صدمة

وفاة تلو وفاة، قلوب تُتَوَفَّى وقلوب في حالة من الصدمة حائرة هل تصدق أم لا!

أصبحت الدنيا خالية من الحياة، أصبحت وجناتنا موطناً خصباً لوجود الدموع فيها.

عند ذكرك يصبح القلب في حالة سكون غير مصدِّق خبرَ وفاتك، وتصبح الأعين كثيرة البكاء لا تتوقف.

قالوا إنه ألم خفيف سيذهب بعد مرور من الزمن، وقالوا انتهى، لكن عاد بعد مدة ولم تنفع أقوالهم شيئاً.

استيقظت ذات يومٍ على تكبيرات العيد، وفي قلبي غصة، حاولت تجاهل الأمر لكن لم أستطع، انتهت تلك الغصة ثاني أيام عيد الأضحى عندما أخبرتني إحدى النسوة بأنكَ قد فارقت الحياة،

سأعترف لكم أنها لم تنزل مني دمعة ذلك اليوم، ليس لقسوة قلبي، ولكن دموعي ليست مصدقة لتنزل، لأن الدموع لا تنزل عبثاً! لم أجبها يومها، وبدأت تلك الغصة تتحول إلى ثقب عميق ينزف كلما أسمع اسمك.

لم تكن جداً لِي فقط، بل كُنتَ وقوراً وحكيماً بنصائحك التي لا تُقدَّر بذهب وبمساعدتك التي لا تُعوَّض.

جدي، كنت وما زلت شيخاً كبيراً في عينيْ كل من رآك.

رحمكَ الله وجمعنا بك في أعلى الجنان.

*****

أنين الثانوية

في زاوية غرفتي يقف جسدي المُنهَك وبداخله كومه من الحنين المشتعل.

داخل فكري أَجد أملاً يئن من كثرة التفكير، في أعماق قلبي وادٍ من الدموع يشكي قلة التواصل مع الماضي، جالسة وسط غرفتي وعدسة عيني تحاول التقاط صورة قديمة معلقة على أحد الجدران، فيغطيها ضباب من الدموع، تمسحها يدي بمنديل مطرز بأوراق الخريف، عندما ترى الصورة بوضوح تتجمع ذكريات فصوله وأحداثها في أعماق القلب لترسم ابتسامة جميلة من الماضي الجميل، عندها تتساقط الدموع لتعلن انسحابها، فتخسر حزينة يائسة، هكذا انطوت صفحة الثانوية بسلام، وعيناي معلقتان على آخر صفحة من صفحات الاختبار النهائي.

انطوت أعوامي السابقة ولم تنطوِ تلك الذكريات، لم تكن مجرد علم يُنتِفع به، وإنما كانت عالماً يُستفاد بلحظاته، كانت ولا تزال تلك الثانوية – التي وصفتها يوماً بالحماقة – أجمل أيامي التي عشت بداخلها.

لن تُنسى تلك اللحظات المُرَّة التي جنينا أطيب الثمار لقطفها، ولم تُنسَ صرخات سعادتنا التي ملأت أرجاء القسم لفرحنا بيوم مفتوح، وتلك الدموع لا أنساها التي هطلت عند معرفتنا أن أيامنا معدودة وسيأتي تخرجنا بعد برهة من الزمن، أغلقنا باب المسيرة بوجهٍ مبتسم، وخواطرنا جميعها حزينة.

لن تُنسى أعذارنا الطفولية لكي نحظى بيوم واحد من الراحة، وتلك المعلمة التي وبختنا يوماً على عدم حفظنا لإحدى قصائد أحمد شوقي، ذلك المسرح جمع أجمل الذكريات بداخله، لم ولن تُنسى تلك الصديقة التي كانت وسْط الحزن فرحةً تأبه بوجود الحزن صديقاً لنا،

بل لن تُنسى تلك اللحظات التي جمعت جميع معاني الوفاء بيننا، كان همنا الوحيد ((متى ستنتهي الحصة الأخيرة؟))، ولكنها سبع ساعات في يومنا مثل الثواني سريعة.

انتهى ذلك الروتين الذي اعتدنا عليه ١٢سنه، لم نكن نتخيل أنه بعد مرور ١٢سنة سيحين ذلك الوداع المُر يوماً ونفترق في لمح البصر.

فسلاماً لكل صديقة من القلب..

ومعلمة لم تُنسَ..

*****

متسخ بوحل اليأس

تتجدد تلك الأعباء فوقي، وتعزف شرايين قلبي لحناً حزيناً، تضيع دمعاتي فيُصعب عليها الخروج، تُكتَم عبراتي وتتجدد أحزاني، ويتكرر نوحي ودعائي، لا مجيب لي ولا سامع لصوتي.

ها هو يلمع بريقها وسْط الظلام، وتبتسم شفتاها على أمل أن يُسمَع صوتها، دفترها قد تمزَّق وصَعُبَت عليه تلك الكلمات التي سقطت على أوراقه مسرعة، كانت تكتب ودموعها تسابق كلماتها، وجسدها الهزيل يرتعش برداً، حنينها مشتعل بالداخل لأم غادرت وأب فارق الحياة، ولا تزال أحزانها تزورها، وذلك الهم يعانقها.

كانت أمامي تكتب وجرحها ينزف، كانت تحتاج إلى أن تبقى وحيدة، رحلت وتركت ذلك الدفتر يعاني هو الآخر، تناثرت كلماتها إلى السماء وهي تتبخر أمامي، ومدامعي تنزل مسرعة بعد قراءتي لتلك الكلمات.

﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ ﴾[1]

رغم قلة حروفها، إلا أنها إلهية.

[1] الضحى: ٩.

فاصـــل

تمشي الأيام مسرعة كالشهاب فتسرق منا كلَّ ما هو جميل وتترك لنا جرحاً عميقاً وسْط قلوبنا لا يلتئم ولا يُشفى، يرحل الماضي من أعيننا ليستقر ويئن كل ليلة.

في الليل يُبدع الحزن في إلقاء قصيدة أتعبها الأرق والإجهاد، كل ما هو سيئ يتجمَّع في حلول الظلام ليشكي إلى النجوم ونصف القمر.

تمضي الأيام على عجل وقلوبنا صامتة لا تبوح بشيء، متجاهلة ما يدور حولها من ماضٍ قديمٍ قد احتل الغبار أراضيه.

أصبح الليل والنهار متشابهَين في الحزن والتفكير الدائم، وأصبح القلب مسجوناً خلف أبواب مؤصدة بأقفال لا مفاتيح لها، فمنذ أن رحل الماضي وصاحبه، رحل المفتاح معه.

كيف لقلوبنا أن تحن وتشتاق إلى شخص غطَّاه التراب؟!

وكيف لمشاعرنا أن تنسى وتقتنع بأن الموت لن يموت؟!

كيف لتلك الدموع أن تستقر بالداخل؟ وكيف لها أن تُحدِث ثُقباً بداخلنا لا يلتئم؟ كيف لنا أن نستسلم لتلك الجروح فنسقط كسقوط أوراق الخريف هزيلين؟!

قد هزلت أجسادنا وفاض الشوق بداخلنا، ملَّت قلوبنا من البوح على تلك السطور، وها هي أيادينا تنسحب بهدوء.

نستسلم بكل هدوء بعدما استقرت تلك الدموع بالداخل وننطق:

- جميعنا راحلون.

*****

تلوح لي اللآلئ المنثورة

كم هي جميلة قلوب الأطفال، كم تعجبني نفوسهم الطيبة وقلوبهم الصافية، كم هي جميلة حقاً!

لا تحمل حقداً على أحد ولا تلوم أو تُعاتب شخصاً. كم هي جميلة أحاديثهم النابعة من القلب وأسئلتهم البريئة المحلاة بنغمة أصواتهم الرقيقة!

كم هي جميلة أعينهم عندما يحزنون بنقاء وكم تكون أجمل عندما تحلو أصواتهم من الفرح! إنني أحسدهم كثيراً؛ لحصولهم على إحدى مجوهرات هذه الدنيا بعدما فقده كثير من الأشخاص المصابين بمرض الاكتئاب، ولا يزالون يتناولون تلك الكبسولات لعلها تنسيهم أحد مواجع تلك الحياة القاسية.

قبل أن ألتقي بأحد أحزاني في إحدى المحطات، قرأت كتاباً لأحد المؤلفين، كانت كتاباته تعجبني، إذ كان يفضي ما بداخله في تلك الصفحات، ولكن في ذلك اليوم أحسست انه لم يُحسِن التعبير،

وكانه يريد توصيل فكرة عميقة استقرت بأعماق قلبه تأبى الخروج، إذ كان مضمون تلك الجملة:

(نفوس تلك اللآلئ المنثورة على ساحات الدنيا لها بريق خاص في جذب الحديد المملوء بالصَّدى إليها)

قرأت تلك الجملة عدَّة مرات، لَم يستوعب عقلي ما كتب ذلك الكاتب، ولم يشعر قلبي بشيء من تلك الجملة.

- لا فائدة من هذا.

نطقت بتلك الكلمات بعدما يئست من الاستيعاب، تركت الكتاب وذهبت لأكتسي قهوتي المُرَّة.

أما الآن فأحسنت أيها الكاتب، أحسنت في شعورك العظيم بعدما عجِز عن تعبيره كثيرون، عرفت من هم اللآلئ المنثورة، ومن هم الحديد الصَّدِئ، قرأت الجملة مرة أخرى ولكن هذه المرة قرأتها بشعورٍ يكاد أن يذوب وعقل يكاد أن ينفجر.

نعم أيها القارئ صاحب الابتسامة البريئة والضحكات العالية،

إنها قلوب الأطفال التي لا تحمل همًّا واحدًا من هموم الدنيا، ابتسامتهم لها بريق خاص ونادر في جذب الحديد، فقد جذبتني ابتسامتهم البريئة وضحكاتهم الجميلة والنابعة من القلب.

تعبت يداي من الكتابة وشعوري يحتاج إلى صفحات أكثر لتفريغه من مشاعر أصبحت كالفيضانات تهدم كل ما هو جميل.

سأتوقف عن الكتابة قليلًا، ابتسامة أحد الأطفال قادمة إليَّ وتجذبني إليها بشدة، وأنت أيها القارئ أغلق الكتاب، ليسترِح كلانا من القراءة والكتابة قليلًا.

قليلًا فقط..

*****

حنين الماضي

ينتابني أحياناً شعور لا يزال مُخلَّداً في جوفي يجعلني أنطوي في زاوية من زوايا الماضي.

في تلك الزاوية يلبسني الحنين ويعزمني الشوق لاكتساء بعض الحديث معه.

حنيننا إلى الماضي يجعلنا أغراباً عن المستقبل، وكأننا لا نريد مواجهته يوماً ما.

ذات يوم بعد أن كنت ضيفاً للشوق، أشْعَلَتنا حرب الدموع ونحن نتبارز بالذكريات الحادة، فحنيننا ليس إلى أشخاص ذهبوا دون عودة، وليس إلى موقف قديم أحدث ثقباً بداخل قلوبنا لا يلتئم ولا يُشفى،

حنيننا ذاك هو بداخلنا يشتاق لنفسه، فالحنين الذي أكتب عنه هو حنين الماضي.

لا أزال أشتاق لأيام مضت دون عودة، ولا أزال أحن إلى نومي الذي لا يحمل همًّا وأحلامي الطفولية لا أزال أذكرها جيداً.

عيدي الطفولي كان يوماً عالمياً يمر علي في صغري، حنيني لطفولتي تجعلني أكتب عنها دون توقف، حزننا كان لعربة الآيس كريم إذ تمر سريعاً ولا نحظَى بها، حزننا كان لخربشات القط ذي اللون الرمادي على وجوهنا، حزننا كان نقيًّا كنقاء تلك الأيام، يذهب سريعاً كأنه لم يقصد أن يجرح قلوبنا يوماً، ونحن بدورنا ننسى ذلك الحزن كنسيان لعبتنا المخبأة تحت السرير.

ابتسم لي قائلاً بعدما أوقفنا المبارزة:

- وهل تتوقع أن الحزن لا يزال صغيراً يجرح ويعتذر؟! أخطأت! إنه يكبر وتزداد قسوته علينا.

بادلته الابتسامة ذاتها:

- ولِمَ يفعل ذلك؟

– ببساطة، نحن أعداؤه وأصدقاء عدوه

–عدوه؟!

أجابني هذه المرة كأنما غرز السيف في صدري بعدما استسلمت له:

– نعم، عدوه السعادة، صار منبوذاً ذلك الحزن من الكل، كلما ذكرته أتاني متلهفاً ومشتاقاً ليغرز جزءاً من حزنه على صدري.

لم أُجِبه حينها، فدماء الحنين قد سالت مجدداً.

*****

وقفة نبوية

في أرجاء زوايا غرفتي تزورني تلك المواقف باستمرار، فبعضها يثير إعجابي لعظمته، ومن البعض الآخر تسيل دموعي لإخلاص أبطاله وزعمائه.

حديثي هذه المرة ليس عن مواقف تراها عيناي ويعيشها وجداني، وليس عن مواقف عابرة تستقر في قلبي أياماً وربما شهوراً وتهاجر إلى مكان لا رجوع منه، بل حديثي هذا يفضفض عن شخص وجَد بداخله مدينةً لا تخلو من السلام، وسفينةً تُبحِر مُحَمَّلة بالحب والاحترام، ليس شخصاً عابراً مهما طالت السنون، وليس شخصاً ميتاً وهو يعيش في القلب أعواماً ما لا نهاية، لطالما سُمِعَت قصصه فحنَّ ذلك القلب إلى لقائه وباتت تلك الأعين تسيل اشتياقاً إليه.

كنت ولا تزال خير إنسانٍ في هذا الكون الواسع، كنتَ ولا تزال أعظم مُعلِّم يدرس الصغار منهم والكبار.

حبيبي يا محمد، ماذا عساي أن أكتب لأجلك وقد مُلِئت صفحات الفخر والاعتزاز عنك، أحاديثك منبع العلم، وقصصك يعيش بداخلها كل من قرأها، وذلك التواضع الذي فاض بداخلك فيضاناً من الأدب والاحترام.

تُرمى بأحجار من قومك وتُسال دماؤك الطاهرة فتردد: ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

تُهان بكلمات قبيحة من قومك فتتجاهلها بمزيج من العفو والصفح.

تُطرد من بين قومك وتواجه دعوتك بكل سرور وحب.

تصمُت عمَّن آذاك وتعفو عمَّن طلب العفو منك.

تُجاهد وتُصاب وتُضَمَّد ولَكَ روحٌ تصرخ كأنها تقول: سأواصل حتى النهاية.

أهذا يكفي من تلك المواقف؟

لا والله، لم ولن تكفي يا حبيبي يا محمد!

إن كان يوسف- عليه السلام- رُزِق نصفَ الجمال فمحمد -صلى الله عليه وسلم-رُزِقَ الجمال كله.

وإن كان نوح - عليه السلام- ابتُليَ بجفاء قومه فمحمد -صلى الله عليه وسلم-أبتلي بأقوام عُنُد طُغاةٍ لا رحمة في قلوبهم ومن الحجارة والأقاويل لم يَسْلَم حتَّى.

إن كانت من معجزات عيسى- عليه السلام- إحياء الموتى، فمحمدٌ -صلى الله عليه وسلم- أوتيَ بمعجزات أعظم، وهي حنين الجذع كما قارنهما الشافعي رحمه الله.

يا محمد، أمتك أكملتْ مسيرتها من بعدك، ولكنك كنت تقود أُمَمًا بأكملها، أما الآن فهذه الأمم لم تستطع إكمال قيادتها على أكمل وجه مثلما كنت تفعل.

يا محمد، أعداؤك يتكلمون عن شهامتك وتواضعك وحسن خُلقك دون شعور ولا توقف.

خير معجزة للناس تبهرها
وحاكمٌ قائدٌ للعرب والعجمِ
محمدٌ خيرُ إنسانٍ نطقتَ به
رسول ربٍّ لا يظلم الأممِ

صلوا عليه وسلموا تسليما

*****

لربما.. ستشرق

تلك شمس الغد، طويل هو غيابها ولا يزال إشراقها مستحيلاً عند البعض، شمس اللقاء لا تزال مظلمةً بِظَلام الغياب، وشمس الأحلام لا تزال مظلمةً بظَلام اليأس والإحباط، وتلك الشمس التي ازداد ظلامُها وأبت أن تُظْهِر نورها، شمس السلام، شمس المودة والإخاء، خطابٌ طويلٌ معاتبٌ مشتاقٌ يائسٌ وحالم.

شمس السلام، لا حروب ولا دمار بداخلها، لا دماء ولا كسور تُؤلِم أصحابها.

شمس السلام، ستشرق بعد حين. ولكن متى هو موعد إشراقها، فنحن نكره ذلك النوع من المفاجآت! .

شمس السلام..

لربما ستشرقين، ولكن ما فائدة ذلك النور بعد سيلان الدِّماء وتشرُّد الأجساد ودفن الضحايا؟

ليستمر خيالنا بالتحليق بأفق الأحلام، ولتستمر حروبنا بالتحليق في أفق الواقع.

فلربما.. النور قادم.

*****

إحساس شام

في منتصف الليل، تذرف أعيننا دموعاً حارة، كأنها بركان فاض وتصاعد يائساً حالماً بالأفق.

في منتصف الليل، يبدع الحزن بإلقاء قصيدة أتعبها الحنين.

في منتصف الليل، كُتبت هذه الأبيات.

حروفي تنادي يا بلادي

في زماني يا بـلادي القـلب جارح حزيـني

ما توقعت غربه جرحها يلهب لهيبْ

في غيابك مـات سعدي ودمعتي فاضت بعينـي

يا بـلادي كـيف أشـكي؟ البـعد مُرٌّ وكـئيبْ

شوقي لأهلي يا بلادي كل ساعـة يجـيني

ضايـق مشـتاق لأهلـه ما لقى لـه طبـيبْ

قالهـا مـقدر أعالج غربـتك فـي سنيـني

بشوفة الأحباب قـلبك في ثواني يطـيبْ

يا حروف الشعر طيري وسـمعيهم ونـيني

واهدي لهم باقة سلام ومن بقلبي قريبْ

*****

وداع غير عادي

يتيم الأهل لا أرجو مكاناً بالحشى مطبوع

يتـيم الشـوق واللحـظات لازالـت رماديـة

أنا يا قلب لم أصبر على حزني الموجوع

ولَـمْ أصـبر على يـومِ الـوداع الغـير عاديـة

بكى والشوق مكبود يئـن أنـينه مسـموع

بكـى والنـار تحرقـه من الأعـمـاق مخـفيـة

أيا طفلاً كفى ألماً كفى صبراً عـلى المفجـوع

فما ماتوا فقد زرعوا نفوساً غير منسية

ولا زالت طوائفهم تلاحقـنا علـى الموعـود

ولا زالـت نـدى الأرواح تتبعنا فـهي حيـة

*****

قلب أمي

يا حروف الشعر فضي من تواصيف الكلام

في سطورٍ فاضيةْ لجمل ورودٍ مع شموع

في ذكرها تختفي الضيقة وتصبح في حطام

هذي أمي حبها ساكنْ بقلبي والضلوع

القدر عالي وقلبي اللي ما يطيق الانهزام

انحني يا قلب وابقى في سكون وفي خضوع

غالية وأجمل بشر وعالية فوق المقام

وحبها ما هو بفرع بل حبها عده فروع

نورها اتخطى القمر ويستحي بدر التمام

من ضواها والدعاء سلاح لي مثل الدروع

انثُري حبي وودي يا عصافير الحمام

لجلها تستاهل الحب في ذرف الدموع

*****

لا رجوع

لو تشوف الحال في غيبتك كيف يطرونك

لو تشوف اليوم كلّه مـات وأحـيانـي

والملأ مشتـاق لـك ولشوفـة عيونـك

والزمـن قاسـي ببعـدك واتـحدانـي

جـدي الغـالي تـرا غـيبتـك وعـيونـك

والزمن قاسي مـعي تعبني واعـيانـي

جدي الغالي رجيتك علمني وشلونـك

يرتاح بالي لا سمعتك وتموت أحزانـي

*****

لحظة تخرج

في يومنا السادس عشر لحظة تخرجنا بـكيت

واحلامنا باتت تـزف أفـراحـنا بالـتـهانـي

في عامي التاسع عشر بستاني الحاني جنيت

قـطـوفـهـا بالـجـد والإصــرار في قطف الأمـانـــي

بـعـد الـتـعـب والـنصَب والجـد يا كـم عـنيـت

دوامنا ساعات فـي الفصل نحسبها ثـوانـي

مـرت سـنـة بعد السنـة ومـن الأمـل حتى ارتـويـت

وحروفنا بالشعر عزتني مع كل الأماني

ما تنّسي أيامنـا يا صاحـبـي مـهـمـا اختـفـيـت

والعين تدمع كلما مـرت علي ذكـرى زمـانـي

*****

خلك كفو

الصـديق اللي معك في وقت ضيقة

واللي يَحَسْـبك نصف قلبه ومحياه

لا تهـجره تنـسـى معه ماضـي جـميلة

ومثل ما شافك تشوفه نصفك الثاني وترعاه

اللي ليـا شـافك حـزين ما تطيب له المقيلة

نافَس غروره فيك جا وأسرع خطاياه

واللـي بوقـت الحـزن ما هـمّه يجي له

خلّـك كفـو وتـجاهـله لا تـهم لقـياه

هـذا عـدوك احـذره فرقـاه خيـرة

صحـبته لك في حياتـك هـمها فوق المعانـاة

*****

المنجيات الثلاث

يا صاحبي خذ لك نصيحة من خـويك

تنفعك من بعد الحياة الفانية

الـأولـة.. الـلـه الـلـه فــي أبــيــك

أبـيـك هو ســر الـسـعـادة دايـمــة

إن قــال هــات فخلها مثل بـعـطـيــك

رد له لبــيــه روحك باســمـــــة

وان صـاب قـلـبـك بـالحـزن هاك بـوصـيـك

أبــوك هـو يدفيك لو كانت حياتك بـاكـيــة

والـثـانـيــة.. مـــن قبـل لا أمشي وخـليـك

الجار أهل وصحبةٍ فــي القلب باقية

جارك قريبك توصله عاد وشفيك

حتى قلـوب الناس ما هي صافية

والثالثة.. من قبل ما اختم أبعطيك

درة تضئ دربك تراها غالية

حاول تسامح كل من هو يعـاديك

لاجل جنّـات وأنهـار فيها جـاريـة

والختم أمك عمرها ما تخليك

تساوي ألف بيتْ الغالية الغالية

*****

الأمة تحترق (شعر حر)

يا عين كفي عن الدمع

يا عـين صـبـراً عـلـى الآهـات

النصر جـاء مُحـمّـلاً بالبـشاراتِ

فــي لـيـلـةٍ أسـر الـشــرف

والجفن باتَ مبـلـلاً بالـدمـعـاتِ

يشكي الهموم إلى ربٍّ رحـيـم

إلــهـي رجــوتــك مـــذلـولاً فـإنـــه

جف دمعـي مـن أنيـن العـبـراتِ

إلـهـي رجـوتـك صـادقـاً مـتـعـفـفـاً

وكـفّـي مرفوعةٌ لــكَ بـالـدعـواتِ

ها قــد تـحــرر الـظــلـم وانــتـصــرَ

من بعد أسـره بـسـالـفِ الأزمـاتِ

والديـن يُسْـجـن ظُـلمـاً بغـير عــدلٍ

ويُـــبَـــدّل ويُـــحـــرّف بــالآيـــاتِ

أمـي الـيـمـن لـم تـعــد تـحــتـمــل

لـخيـانـةِ أبـنـائها بالـطـعــنــاتِ

وها هــي الـشـــام تُـــهـدّم وتَــحــتَـرق

وتموت ظلماً لتمتلئ بالصرخـاتِ

ألا أحـدثـكـم عـــن مـجـدٍ اخـتـــربَ

وصـار خرابـه مـملوء الحـكـايـاتِ

هــذه الـعـراق الـعـريـق لـكـنـهــا

جُثّة هامدة مـلـيـئـة بالـعـقـبـاتِ

والقدس تحتل من بعد الرسول

والكفر يغزوها من جميع الجهات

أما العـرب فنومها بعـمق مـتهــالـكٍ

وتتــخدر بـعــديد مـن الجرعــاتِ

*****

بصمة يتيم (شعر حر)

تصحُو جُفوننا

على أصواتِ الدُمار والخراب

وتنامُ أعيننا من شدةِ الجوع وبرودة الأبدان

فلا مأوى يؤوينا

من افتراس الذئاب

ولا مُنجي يُنجينا من أعداء هذا الزمان

والفجر يغدو

ونحن نتشرَّد من بابٍ إلى باب

وكل من رآنا تظاهرت عيناهُ بالأسى والأحزان

ومن خلفِ الستار

قلوبهم صُلبة مغطاة بالتراب

ونسوا أنّ النِّفاقَ وحدَه جريمة وباب إلى النيران

أجسادنا تمزّقت

وتيبّست دموعنا من ألمِ الغياب

والعين كلَّ ليلة تشكي للنجومَ

والحزنَ آنذاكَ شاعر فنان

قلوبنا تفطّرت أجزاؤها

وتفتت من كثرةِ العتاب

وأعيننا لا تحمل سوى الاشتياق لهم على مدى الأزمان

ها هي الأقلام تنزف حبرها الأسود لتُكمل الخطاب

والأمنيات معلقة

واليد تشكو متعبة من كثرةِ الخطاب

الشوق إلى أم حنونة تبخّرت

وصار مقعدها تحت التراب

في كلّ مرّة يأخذنا الشوق لها وقلوبنا ينقصها الحنان

في كلّ مرّة يمر بي طيفك الحاني فيغطيك الضباب

أماه يا أمي طاب مرقدك

ولقاني الله بكِ في أعلى الجنان

قد فاضَ دمع الشوق يا أبي

فتناثرت مسرعة كالشهاب

تناثرت بحزنٍ مفرط

وأنين موجع مطرب الألحان

القلب يحزن

والعين تدمع

والروح فوضت أمرها للخالق الوهاب

رحمكَ اللّه يا أبي

و رحم سنينك التي كانت لحياتي عنوان

يا من رحلت أجسادكم

وأصبحت تحت التراب

يا من رحلتم عنا لا تزال ذكراكم تهز الكيان

يا من قست قلوبكم اتقوا يوم الحساب

فرسالتي مكتوبة بدمعة يتيم فقد الحنان

*****

أمسية

تبي تكشف أصول سهلة التعبير

وتعرف داخل فؤادي كلام كثير

أنا دايم وحيد البال والتفكير

سجين الشعر والأبيات تأسرني

أنا من لي سوى غصن فقد له طير

وغنى في زوايا الحزن لحن غير

بكى محزون دمعاته كطفل صغير

وأنشد طير عود لي على شاني

وانا كالغصن دايم أدعي إني بخير

وحزني فارش خيامه بلا تفسير

يصير تطير يا حزني يصير تطير

كطير أعلن وراح لغصنه الثاني

*****

خواطر مبعثرة

هل سيصدقني أحدكم إن قلت إن هذه الخواطر البسيطة قد أخذت جهدي بأكمله!

على الرغم من قلة أسطر هذه الخواطر، إلا أنها أكثر فصل جعلني أفضفض ما بداخلي بصعوبة.

(١)

تفاءَل، تشاءَم!!

اضحك، ابكِ!!

فلَــن..!

يتغيــر القـــدر مَهما فَعلت.

(٢)

نقع لنقف..

ونتعثر لنمشي..

نُحبَط ليحيا الأمل في أعماقنا..

وها نحن نحزن لنفرح يوماً ما..

لـهذا سُميت ((دُنيا))!

(٣)

نصيــحتي لكم..

لا تدعوا الفشل صديقاً يُرافقكم

ولا تدعوا الألم طريقاً يُدمركم

الحلم يلوح لكم، فلا تتظاهروا بعدم رؤيته

وها هو الأمل يستقر في قلوبكم فأحسنوا إليه.

(٤)

يسألونــك عـن الدنــيا..

قل.. دنيــا فانيـــة.

ويسألونــك عن الآخــرة.

فأجبهم.. جنــة دائمــة.

(٥)

يُحكى أن حُلماً تمَزق بـسكاكين الإخفاق

فوقـف صامداً قائلاً:

سأُلوح له حتى يُحيــني من جديــد.

فلا تمــزقه من جديـد!

(٦)

نبتسم لأعداء ظنّت قلوبنا يوماً

أنهم أصدقاء..

ونعبس لأصدقاء ظنَت قلوبنا يوماً

أنهم أعداء..

فسلاماً على زمن ذهب فيه

الوفاء!

(٧)

قِـيل لِـمحمد ﷺ، أنتَ كاهن.

فتجاهل وصمت!

وقِـيل لِـمريم عليها السلام: لقد جئتِ شيئاً فريًّا.

فأشارت إلى ابنها وصمتت!

وقِـيل لِـنوح عليه السلام: لقد جنَّ.

فأكمل عمله وصمت!

فَمن أنت لتجادل؟!

ابتسم وسامح وامض متفائلاً، فالذي نصر محمداً وبرأ مريمَ وأنجى نوحاً، سينصرك ويُبرؤك ويُنجيك.

(٨)

يتكلـمون مـن خلـفك

ويضحكون أمامك..

يغرزون السيف في ظهرك

وينزعون الرصاصة مـن صـدرك..

تعلو أصواتهم بالضحك

وترفرف قلوبهم سعادة..

يا لذنبهم العظيم!

(٩)

من قال إنّ السعادة

في المال فقط؟!

فبركعتين قبل الفجر

تصل للسعادة

وتتجاوزها أيضاً!

(١٠)

في الجـنة.. سنبتـسِم

ونحـتقر أعيننا يوماً

بِذرف دمعة واحدة

مِـــــن مـتاع الـدنيا!

(١١)

قيل (سـرَّك فـي بـئر)

وقد نَسوا أن هذه البئر

أخـــــرجت

يوسـف -عليه السلام-

فَـلا تثـقـوا!

(١٢)

عندما يستهزئ البشر ببعض أحلامك المستحيلة..

فَـتجاهلهم وبادر ببناءِ ذلك الحلم.

فَنوح -عليه السلام- سخروا منه ببناء سفينة في الصحراء..

فأحدثت سخريتهم ماءً من السماء..

لتجعل المستحيل حقيقة!

(١٣)

كرر دائــماً:

«اللَّهُــمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِــبُّ الْعَفْوَ فاعْفُ عَنَّا»

فلا تــدري، أن تكــون نجاتك من جــهنم تلك الجملة!

(١٤)

ها هي القبور مصفوفة

وترابها يأسر كل جسد بداخلها

الأجواء مشمسة

ونسيمها ضيف خفيف

وأمطارها تلوح من بعيد

فَـ يا اللّه!

(أنت أرحم بهم منا)

(١٥)

ألقتها بداخل الدار

وهي تُتمتم: عجوز ثقيل!

فابتسم القدر وأهداها جرعة بما فعلت

(فَبِرُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم)

(١٦)

ها هو الظلم ينتصر والعدالة تُسجَنُ

والشّرف يُعتقل والرذيلة تُطلَق

ليست من وحي الخيال

وإنـــما..

من واقع الحياة!

(١٧)

لا تكن كالذين أرادوا قتل أخيهم يوسف

فأحدثت غيرتهم بأن يصبح

عــزيز مـصر!

بل كن كالذي سبَّح واستغفر

بداخل بطن الحوت

فـ أنـجاه اللّـه!

حياتنا قصيرة لا تستحق التدقيق

بل تستحق التوبة بقلب يخشع

وعينٍ تدمع!

(١٨)

صبـــاح الخـــير:

للذين خابت أمانيهم، ولا زالوا يَسْبَحون بمهارة للذين لم تَمُت عزيمتهم يوماً، لأصحاب الإرادة القوية والأمل غــير المنــقطــع.

(١٩)

سلامٌ على صديق لم يهجره الوفـــاء، وعـلى بـارٍّ لـم يـغـره دار الجفـــاء، وقلب حزين ابتسم رغم العنـــاء.

* *

شكراً.. لِمَن هجر الوفاء، وأصبح عملة لا قيمة لها يتوارثها الأغبياء، لِمَن رأى عيباً فنشره، وسمع كاذباً فصدقه، ولم يستمع إلى ناصح فاحتقره.

* *

شكراً لكم.. لأنكم تمنحون جوائز عظيمة، ألا وهي حسناتكم الثمينة.

فشكراً لكم.

(٢٠)

لولا تأخرنا عن موعد مهم لأحدث القدر مصيبة.

* *

ولولا تجاهلنا كلمة قاسية لأحدث اللسان زلةً عميقة.

* *

ولولا نعمة النسيان لأحدث العقل ضجةً كثيرة.

* *

لِـــهــذا:

* *

لِـــهــذا:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[٢]

[٢] البقرة: ٢١٦.

(٢١)

لربما.. هناك حلم ينتظرك

لربما.. شخص يحلم بلقائك

و لربما.. يبتسم إليك القدر يوماً

فَلماذا ذلك الحزن المحتل جبينـــك؟!

(٢٢)

يُغادر الأمس ليحل مكانه.. اليوم

ويُغادر شخص ليحل مكانه.. شخـصٌ آخر

وتُؤجل أمنية ليستقر شيءٌ جمــيلٌ مكانها

باختصـــار..

الله لطيف بعباده، ويُقدم إليك الخير الذي وصفته ألسنتكم(بِـ لماذا يحصل معي هذا؟!).

(٢٣)

بـــلادي..

رغم حروبك وتمزق ثوبك

ستبقَيْ جميلة بأعين كل من يحبك.

(٢٤)

وداعاً لِأيامٍ جميلة مضت وتركت بصمة داخل قلوبنا.. لا تُمسح.

* * *

وداعاً لأشخاص ذهبوا وطبعوا أخلاقهم

ببصمةً.. لا تُمسح.

* * *

وداعاً لموقف عظيم مضى وغادر وترك

بصمته خالدة.. لا تُمسح.

(٢٥)

يعجبني من تحمل وشكر، وأبتلي وصبر، وأُهين وغفر.

لأن لا شيء يدوم، وأن التدقيق لا ينفع وسيزول.

تلك الدنيا فانية، والدار الآخرة هي الباقية

(٢٦)

يا حلمي عانقني بقوة، بقوة تجعلني

أطير فرحاً بين النجوم.

و لتشهد تلك الأماني أنني وصلت إليك.

(٢٧)

لِمن يقرأ:

عِش حياتك بتفاؤل، ولا تدع الفشل يحطم من معنوياتك.

(٢٨)

لِمن عنده فقيد تحت التراب:

صبراً..

ولو أن الفراق.. لا يطاق.

(٢٩)

سألوني عن بلادي

فقلت لهم:

إن تألمنا أسرَعت لمساعدتنا..

وإن تألمت تكاسلنا في مساعدتها!

(٣٠)

سألته : من أنت ؟

فأجابني :

ذلك الذي عاشه محمد

والذي تلقى الخيانة كخيانة إخوة يوسف

..أنا اليتيم العزيز..

(٣١)

لا تُقدَّر بثمن ولا تقارن بأحد

قلبها كالذهب لا يَصْدأ

وروحها تعيش في كل قلب

لا أسميها أمي فقط..

بل أم الأمة

(٣٢)

ثلاثة أحرف تعدت قاموساً من المعاني:

أ: أسطورة لن تتكرر مرتين

ب: بَر الأمان

ي: ينبض قلبي فرحاً لوجوده

(٣٣)

درع من يميني لهؤلاء الأعداء.

وحصن من يساري لمخاوف المستقبل.

ألا يكفيني أنه أخي!

(٣٤)

الأخت هي تلك التي أمسكت بيدي

عندما وقعت في بئر من الشدائد

واشتدت المصائب..

(٣٥)

القوي من تملؤه الثقة، القوي من يملك الشجاعة

هكذا هي أقوالهم!!

ولكن القوي الحقيقي:

من يموت شهيداً مدافعاً عن وطنه الأم.

(٣٦)

هل سيعود ذلك الميت الذي جزمت أنه سافر منذ صغري؟

(٣٧)

لماذا الطيبون دائماً يرحلون بدون موعد؟

ويهاجرون إلى قبور هادئة لتحتضن أجسادهم

بدون عودة؟!

(٣٨)

تُفتح مسيرة وتُقفَل مسيرة وقلوبنا بين الشوق والمستقبل تَقف حائرة.

(وداعا.. ثانوية)

(٣٩)

وجودهم حياة..

ورؤيتهم كرؤية قمر يبتسم وبداخله مدينة لا وجود للدمار فيه،

قلوب تلك اللآلئ.

(قلوب الأطفال)

(٤٠)

ماضيَّ الجميل:

سلاماً على أيامك التي لا زالت تُحدث ثقباً عميقاً بأعماق قلبي.

صُوَرٌ تحْكي

هذه الصور[٣] مقتبسة من واقع الحياة، اخترتها لذوي الملامح البريئة والأعين الضاحكة أو الحزينة الموحية بصدق مشاعرهم ومعاناتهم التي أذاقتهم الحياة عدة كؤوس من كؤوسها المرة.

لتُغلق هذه الصفحة.. ولتُفتح صفحة أخرى.

[٣] تم طمس جزء من صور هذا الفصل للخلاف الفقهي في حكم التصوير الفوتوغرافي.

أسميتها أمي



ليست شوارع باريس، وليست أسواق لندن، إنها صنعاء، بـلادي الأم.

خُلِق الجمال من نورها، وتَجمّل الحُلي من لآلئها، واصطفت مساجدها لتحكمنا كالملوك، وها هي جبالها حَلَّقت حولنا لتحمينا كالجنود.

كم أنتِ جميلة يا صنعاء رغم نزيف دمائك باستمرار!

وكم أنتِ أصيلة يا صنعاء رغم ندرة وجود الأصالة في عصرنا الحالي!

هذه هي بلادي وهذا هو حالها:

تُهزم لتزداد جمالاً، وتُهان ليوضع التاج عليها، وتَنزف لترتوي

وهذا هو حالنا معها:

نُهزم لتنصرنا هي، ونُهان لتدافع هي، وننزف لتضمدنا هي.

لهذا أسميتها أمي.

لِتَرفع رايتك ذات يوم، وتبتسم شفتاك قريباً، ويرتاح قلبك يوماً ما.

فالقادم أجمل- بإذن الله -.

لا داعي للقلق، سأخبره



سأخبر الله بكل شيء، سأخبره أن العالم بأكمله لا يزال مخدراً ومنوماً، سأخبره أن تلك الحروب اقتلعت طفولتنا وجعلتنا نعوي كالذئاب، سأخبره أن أمي توفيت وهي تلتقط فتات الخبز كي أعيش، وسأخبره أن أبي توفي وهو يدافع عني كي أعيش، سأخبره بأختي الذي قضت عليها جدران ذلك المنزل، واحتضنتها تلك الحجارة لتموت هي الأخرى.

وها هو دوري لكي أكون في سبات عميق.

لعلي سألتقي بهم . البشر



رأيته من بعيد وهو يحدق بتلك الدمية، رأيته وكأنما أصبح هو الدمية، ساكنٌ لا يتحرك بابتسامة حالمة ويائسة، أسرعت لأرى ما الذي حلَّ به، تقدمت رويداً منه وها هي تلك الدمعة تسيل بهدوء.

بدأ ذلك القلب المتهشِّم الممزَّق يفضفض لتلك الدمية:

لابدَّ أنكِ سعيدة كونكِ دمية تُحترم ولا تُهان، هذه الابتسامة لا تفارقكِ منذ أن التقيت بكِ، لابد أن البشر أخطأوا في رسم الابتسامة

بيننا، أصبحت أعيش في غابة بين الوحوش والضباع، أمشي بهدوء لكيلا أزعجها فتلتهمني بشراسة.

سأمضي في طريقي لعلي ألتقي بالبشر من جديد.

مضى ذلك القلب المتهشم وترك المكان خالياً من الابتسامة.

*****

المحيط المتصحر



((وكأن المحيط يسكن بعينيه حقًّا))

عبارة كُتبت خصيصاً لذلك الفتى، أصبحنا شعباً يرى الجمال الخارجي فقط، لا أعني بهذا شيئاً وإنما ما أعنيه هو أننا لم نقل كأنَّ الصحراء القاحلة تسكن وجنتيه، لم نقل وكأن الدمار أحدث خدوشاً في يديه، حالنا دُمِّر يا إخوتي، هاجرت هذه البسمة إلى أرضٍ لا حرب فيها، ومات هذا الأمل لإحباطه المستمر، وها هي تلك الدمعة تستقر بذلك المحيط، ألا يكون محيطاً بكثرة الدموع فيه!

*****

دُمِّرت.. أوتار السلام



وما زلنا نعزف على أوتار أمنياتنا لعلها تصدر صوتاً شجياً بعدما أوجعتنا بأصواتها الحادة، ولا يزال البعض يعزف على أوتار أمل اللقاء بأب اختفى، وأم ضحّت، وطفلة ضاعت.

لا يزال بعضنا يعزف على تلك الأوتار الحادة وآذانهم تصرخ وقلوبهم صامتة.

ولكن..

جميعنا من يعزف على أوتار السلام لعلنا نجده بعد غياب دام طويلاً، جميعنا عزفنا بحدةٍ وخشونة ألا وهي الحروب والدمار، ولكن لم نفلح في إيجاد ذلك الصوت الندي المسالم.

هل يعقل أن كل قطعة أرض صغيرة تسكن الحروب فيها ويلعب الدمار بترابها؟ هل يعقل أننا نحن اللذين نصرنا الإسلام في غضون سنوات وعمرنا الأرض في قرون قليلة؟ هل يعقل أننا هؤلاء العرب الذين اصطفوا جيوشاً لا تُعد ولا تُحصى لنصرة بَعضهم بعضا؟ وهل يعقل أن يتغير حالنا بسرعة تفوق سرعة الضوء؟

هل يعقل أيضاً أن تستمر تلك الحروب ونشاهدها بكل أريحيةٍ وضمير؟

لهذا دُمِّرت أوتار السلام.

*****

لا داعي للتصوير !



ها هي هذه الكاميرا اللعينة تنظر إليَّ كأنني في جلسة تصوير!

وها هو هذا المصور يبتسم ويرحل لينشر ذلك الدمار الذي احتل حياتي بالكامل! سأبقى هنا أيها العالم حتى يخطفني الموت، سأتابع ذلك الدمار بهدوء، لا بأس! سيأتي ذلك اليوم التي تأتي به تلك الكاميرا مجدداً وأنا بكفن مغطى والى القبر سأُلقى، لا بأس بتلك القلوب الصدئة، لا بأس بها.

لن أبتسم ما دامت الدنيا عبوساً في وجهي، لن أبتسم لقلوب مزقت قلبي ولا تزال تمزقه، لن أبتسم في وجه تلك الكاميرا مجدداً.

لم ولن أبتسم ما دامت تلك الابتسامة أسيرة في سجنٍ من الظلم.

*****

لست بجميل.. عالمي



ستبقى البسمة صديقةً لنا لا تخذلنا، وسيبقى الأمل طريقاً لنا لا ينقطع، وها هي الدمعة تسيل من أعيننا، ولكن لا بأس سنمسحها بكل ثقة.

عالمي الجميل..

ماذا حلَّ بقلبك المليء ببساتين السلام؟ وماذا حلَّ بعقلك الذي لا يرضى له بالخداع؟

عالمي الجميل..

ماذا حلَّ بجمالك فأصبحت مصنعاً يجني الحروب والدمار!

عالمي الجميل..

هل في طفولتنا نحن دمار لمستقبلك؟ هل لنا حقٌّ عليك أن نرى ذلك الدم يُنزَف، هل من حقنا أن نُسجَن ظلماً ونُقتَل أبرياء.

عالمي الجميل..

هل من حقنا أن نفقد أبانا ولا نحظى به، هل من حقنا أن لا نحظى بحنان الأم؟ بل هل من حقنا نحن أن نعيش في الحروب والدمار يومياً؟ أَوَليس من حقنا أن ننطق: (كفى! فقد دُمِّرت طفولتنا).

هل من حقنا أن نُهان ونُحتقَر من العالم وليس من حقنا أن نصرخ: (كفى! دُمِّرت طفولتنا!).

عالمي الجميل ..

أنتَ لست بجميل، وبداخلك كومة من القسوة لم تُرمَ.

ورود في ساحة الانتظار



لا بأس سأنتظر حتى تتهشم البقية من قلبي، يبدو أنني انتظرتها كثيراً، ولكن سأبقى في انتظارها كي أثبت لهذه الدنيا أن القلب لا يُشيب.

ذلك اللقاء كان صعباً علي قبل٢٥سنه، وها هو يتجدد من جديد.

بدأ ذلك العجوز يتمتم بهذه الكلمات، ولا يزال يبتسم كأنه موقن بأنها ستأتي.

يا لدناءتك أيتها الدنيا، كيف يستطيع قلبكِ أن يرى تلك الأمنية التي تعلوها ابتسامة الأمل ولا تحققينها له؟! يا لقسوة يديكِ وأنتِ تبعدينها عنه بكل هدوء.

ها هو يقف والابتسامة لا تزال متشبثةً بمُحَيّا ذلك الشيب، وها هو يضع الورد ويرحل حزين القلب بوجهٍ مبتسم، كأنه يقول: تركت هذه الورود لتخبركِ كم انتظرتكِ ولكنكِ لم تأتِ.

ذهب وهو يتمتم:

تبي تسأل عن الأشواق ولو صدك يعذبني

تبي تشعل بي النيران ولو حبك يداويني

أيا غايب أنا مشتاق كفى هجران لملمني

كفى تقسى على قلبن يحبك ونت تاركني

*****

عذرًا



يتوقف أغلب حياتنا على التشبث بذكرياتها وماضيها، تتوقف هذه الحياة على التدقيق والتفكير الدائم، تتوقف لضغطنا عليها بشدة.

ماذا لو تركناها تنمو على مهل دون عجل؟

و ماذا لو تجاهلنا مفاجأتها المحبطة، الأليمة، وحتى المفرحة؟

ماذا لو بسطنا أيادينا لها لتنمو هي؟

حياتي ..

لتحيي بسلامٍ دائمٍ من الأفكار المؤذية لكِ، لِتُحذف ملفات الماضي والذكريات العالقة بك.

حياتي ..

عذراً من همومٍ ألقيتها بداخلك، وحزنٍ أمطرتُ به عليك، وفرحٍ حرمتكِ منه.

حياتي ..

سأبسط يدي لكِ؛ لتنمو تلك الأيام الجميلة بداخلكِ.

*****

فرفقًا بهم



سمعته يتمتم:

أيا تعَباً في طريق الْحُلْم

وَيا شمساً من ورائي تراقبني وتحرقني

صبراً على قدَر الحياةِ

فكلٌّ من عليها فانِ

لم يكن التعب هو فقط رفيق أعمالهم، بل نطاق واسع من المعاجم، نطاق واسع من الأحلام والخيال.

غربة منعت أعينهم من الوصول لأوطانهم، وأحلام احتلت

خواطرهم فجعلتهم يُحلِّقون في الأفق بابتسامة أسيرة حالمة، تعبٌ محيط ٌ بكل قواهم العقلية والجسدية والنفسية، حنين وشوق إلى من وُضع دار القدر حاجزاً بينهم وبين أحبائهم.

فَـ رفقاً بهم..

*****

طائر الأمل



تعبت أداوي جروحي يكون الله في عوني
تعبت أجامل وأضحك وأنا بالحيل مكسورة
من هموم الزمان اللي تحداني شحب لوني
وراضي بالقدر أصبر وأنا بالحيل مكسورة

ما بال هذه الدموع تأبى الخروج كأنها ترفض أن تُهزَم من معارك تلك الدنيا القاسية، ماذا عساها أن تنطق لتهدأ تلك الروح الهشة! وماذا عساها أن تفضفض ليرتاح بالها الطويل.

هي وحيدة ولكن في عينيها فيضانات أغرقت كل جميل، بداخل هاتين العينين تلك البئر التي امتلأت الماء بداخلها، لتمتلئ تلك الصحراء بدموع حارة وموجعه.

أُؤَكد لكم أنه لا توجد بئر كهذه، ازدادت بداخلها الأعباء وثقلت عليها الأحمال ولا يزال الأمل يحلق كطائر يبحث عن ماءٍ ليرتوي.

سيأتي اليوم الذي يحمل الأمل بجناحيه ليستقر في تلك البئر الحزينة الوحيدة إلى الأبد.



سأبتسم رغم الألم



تناول طعامك ولا عليك مني، لا عليك بجسدي النحيل ولا بشعري الأشعث، لا عليك من ملابسي التي اتسخت بالرمال وتمزقت، فإن قلبي لا زال نظيفاً وروحي لم تتمزق بعد.

هذه ليست حياتي بل حياتهم، إنني مجرد مسافر على هذه الأرض لآخذ تلك المجوهرات التي تؤدي إلى دخول الجنة، ومن بعدها سأحظى بملابسَ من حرير غير متسخة ولا ممزقة أيضاً.

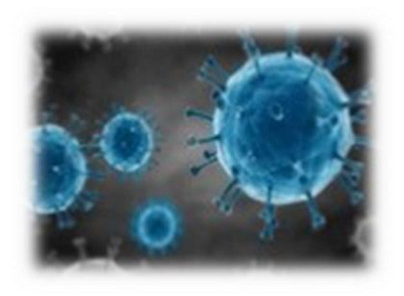
تناول هذا الخبز اليابس آملاً في أن يكون شهياً، فهو معي منذ ثلاث أيام، أقسمه على أيامي القادمة.

لا عليك من دموعي المنهمرة فإن شفتيَّ لا تزالان مبتسمتان.

ما زلت بخير ومستبشراً بقول رسولنا الكريم بأننا نحن أكثر سكان الجنة.

*****

شكرًا كورونا



شكراً كورونا، لأنك وحَّدتَ الأمة بعد تفرقها، وأنرتَ العقول بعد ضلالها، وطهَّرتَ القلوب بعد سوادها.

شكراً كورونا، لأنك جعلتَ العاصي يتوب، والمذنب يعترف، لأنك جعلتَ الكافر يؤمن بالله، والعاقل يتدبر في جندٍ من جنود الله.

شكراً كورونا، لأنك حرمتنا من بعض النعم لنفتقدها ونستشعر مدى أهميتها، لأنك جعلتنا نعلم أن نِعَم الله لا تُعَد ولا تحصى.

*****

الخاتمة

جميعنا جميعنا يملك حلماً، لكن ليس الجميع يسعى إلى نَيْلِه، فكل حلم يجب أن يكون راية النصر في أعلى القمم، ولهذا سُمِّيَ حلماً لأنه يصعب الوصول إليه.

أخي القارئ..

أحلامنا جسر قديم يكاد أن يقع، فلو اجتزت هذا الجسر بكل حذر وانتباه، أعدك بأنك ستصل إلى ما كنت تحلم به، وإن مشيت بكل قوة فوق هذا الجسر فإنه سيهلكك إلى الأسفل لا محالة، فاختر ما نصحتك به.

فنصيحتي لك، اسعَ وراء أحلامك مهما سببت لك الجروح والخدوش، ومهما أشبعتك كلمات جارحة من طرف البعض، ومهما كانت عالية وشاهقة.

فليس كل عالمٍ خُلِق عالماً، وليس كل كاتبٍ خُلِق مثقفاً، وليس كل جاهلٍ سيستمر جاهلاً، وليس كل ما بداخل بيتٍ مهجورٍ عبارة عن رذاذ الغبار وخيوط العنكبوت، فلربما تستقر بداخلها بساتين من الورود والأزهار الفاتنة.

وها أنا أختم كتابي بمن كانوا لي سنداً، وبمن فتحوا لي طريقاً يُزهر بأحلامي، بمن شجعوني كلما رأوا الإحباط يلوح لي.

لِوالدي العزيز، ولِصديقتي (البنفسج)، ها هو حلمي يتحول إلى واقع بسبب مجهودكما معي بعد الله سُبحانه وتعالى.

فشكرًا لكما من القلب.

*****

المحتويات